مناظرة
مع طائفة الرفاعية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

من هو الشيخ أحمد الرفاعي التي نتسب إليه الطريقة[1] ؟

الحافظ - الذهبي - أثنى على الشيخ أحمد الرفاعي ثناء بالغًا ووصفه - في كتابه سير أعلام النبلاء - بأنه: «الإمام، القدوة، العابد، الزاهد»، وبأنه: «كان كثير الاستغفار، عالي المقدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص»، لكنه أعقب ذلك بقوله: «لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات»، ونبه على أن: «هذا لم يعرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه».

وهنا يجب الانتباه على التوقف والتثبت من صحة ما ينسب إلى الرافعي من الأقوال والأفعال ومن البدع والشركيات وغير ذلك مما ينسب إليه، وقد حذر الشيخ الرفاعي أصحابه من هذا الأمر وكأنه كان يحس بأنه سيكون منهم من يغلو فيه ويكذب عليه من بعده فقال لهم: «لا تسبوني من بعدي !! فقالوا: وكيف نسبك وأنت إمامنا وقدوتنا !! قال: تقولون قولاً لم أقله، وتفعلون أمرًا لم أفعله فيراكم الناس ويسمعونكم فيقولون: لولا أنهم رأوا

[1] (?) من مقدمة الأستاذ عبد الرحمن دمشقية لكتاب المناظرة.

شيخهم ولولا أنهم سمعوا شيخهم ما قالوا وما فعلوا ... كل شيء خرج عن كتاب الله وسنة رسوله فليس منا».

وهذه كلمات من نور توضح ما كان عليه الشيخ من اتباع السنة وذم البدعة، بخلاف ما عليه طوائف الرفاعية من ضرب الشيش ومسك الأفاعي، وحلقات الرقص والغناء، لذا كان من الخطأ التعرض للشيخ عند الإنكار على أتباعه، فإنه يجب التفريق بين الرفاعي وبين الرفاعيين، إذا حصل وقوع التبديل فيما جاءت به الأنبياء فليس ببعيد أن يقع التبديل والتشويه لحقيقة ما كان عليه الشيخ، ونسبة الأقوال والأفعال إليه كذبًا.

وقد كان الشيخ الرفاعي يحذر من مجالسة هؤلاء والاستماع إليهم فقد كان يقول: «واحذر الفرقة التي دأبها تأويل كلمات الأكابر والتفكه بحكاياتهم وما نسب إليهم، فإن أكثر ذلك مكذوب عليهم، وما كان ذلك إلا من عقاب الله للخلق لما جهلوا الحق، فابتلاهم الله بأناس من أهل البدعة والضلالة، فكذبوا على القوم وأكابر الرجال الأكابر، وأدخلوا في كلامهم ما ليس منه، فتبعهم البعض، فألحقوا بالأخسرين أعمالاً، فعليك بالله وتمسك للوصول إليه بذيول نبيه عليه الصلاة والسلام والشرع الشريف نصب عينيك».

بهذا يعلم أن الشيخ كان من أهل الصلاح

والخير وأنه كان على محض السنة إن شـاء الله.

وصـــلى الله على محمد وآله وأصـــحابه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب السموات والأرضين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليما دائما إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الإمارة والميدان بحضرة الخلق من الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة وغيرهم في أمر «البطائحية»[1] يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس لتشوف الهمم إلى معرفة ذلك وحرص الناس على الاطلاع عليه فإن من كان غائبًا عن ذلك قد يسمع بعض أطراف الواقعة ومن شهدها فقد رأى وسمع ما رأى وسمع.

ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويره لانتشار هذه الواقعة العظيمة ولما حصل بها من عز الدين وظهور كلمته العليا وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة والأحوال الفاسدة والتلبيس على

[1] (?) البطائحية: هم الرفاعية، لقبوا بالبطائحية نسبة إلى قرى عديدة في واسط بالعراق، وهم تارة يلقبون بالرفاعية أيضًا وبالأحمدية نسبة إلى أحمد الرفاعي رحمه الله وقد اقتصر مؤخرًا على تعريفهم بالرفاعية تمييزا لهم عن جماعة الطريقة الأحمدية المنتسبة إلى أحمد البدوي.

المسلمين.

وقد كتبت في غــير هــذا الموضع صــفة حال هؤلاء «البطائحية» وطـريقهم، وطريق الشيخ أحمد بن الرفاعي وحاله وما وافقــوا فيه المســلمين وما خــالفوهم؛ ليتــبين ما دخلوا فيه من دين الإسـلام وما خرجـوا فيه عن دين الإسـلام؛ فـإن ذلك يطـول وصـفه في هذا الموضع وإنما كتبت هنا ما حضرني ذكره من حكاية هذه الواقعة المشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم.

وذلك أني كنت أعلم من حــــالهم بما قد ذكرته في غير هـذا الموضع - وهو أنهم وإن كانوا منتســبين إلى الإسـلام وطريقة الفقر والسـلوك ويوجد في بعضـهم التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع، ولين الجـــــانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف[1] ونحو ذلك ما يوجد - فيوجد أيضـــًا في بعضــــهم من الشـرك وغـيره من أنـواع الكفر ومن الغلو والبدع في الإسلام والإعراض عن كثـير مما جــاء به الرســول والاســتخفاف بشــريعة الإسلام والكذب والتلبيس وإظهار المخـارق الباطلة وأكل أمـوال النـاس بالباطل والصد

1 (?) التصرف عند الصوفية: هو تمكن الشيخ من فعل أمر يعجز الخلق عن فعله عادة؛ ولهذا يرد في كثير من تراجم الصوفية عبارة (المتصرف في الأكوان) وهي كلمة شنيعة ترفع بمشايخ الطرق إلى مصاف القدرة المطلقة من المحو والإثبات والعطاء والمنع، وهي والكشف والوجد وغير ذلك من الكلمات المؤثرة في الألوهية والنبوة غير مسلم بها وإن قالها من قالها.

عن سبيل الله ما يوجد.

وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة بينت فيها لمن خاطبته منهم ومن غيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل وأحوالهم التي يسمونها الإشارات، وتاب منهم جماعة، وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت صورة ما يظهرونه من المخاريق: مثل ملابسة النار والحيات وإظهار الدم واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك، وإن عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة وأراد - غير مرة منهم - قوم إظهار ذلك فلما رأوا معارضتي لهم رجعوا ودخلوا على أن أسترهم فأجبتهم إلى ذلك بشرط التوبة حتى قال لي شيخ منهم - في مجلس عام فيه جماعة كثيرة ببعض البساتين لما عارضتهم بأني أدخل معكم النار بعد أن نغتسل بما يذهب الحيلة ومن احترق كان مغلوبًا فلما رأوا الصدق أمسكوا عن ذلك -وحكى ذلك الشيخ: أنه كان مرة عند بعض أمراء التتر بالمشرق وكان له صنم يعبده قال: فقال لي: هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويبقى أثر الأكل في الطعام بينا يرى فيه فأنكرت ذلك، فقال لي إن كان يأكل أنت تموت ؟ فقلت: نعم. قال: فأقمت عنده إلى نصف النهار ولم يظهر في الطعام أثر فاستعظم ذلك التتري وأقسم بأيمان مغلظة أنه كل يوم يرى فيه أثر

الأكل لكن اليوم بحضورك لم يظهر ذلك.

فقلت لهـذا الشـيخ: أنا أبين لك سـبب ذلك.

ذلك التـتري كـافر مشـرك ولصـنمه شـيطان يغويه بما يظهـره من الأثر في الطعـام وأنت كـان معك من نـور الإسـلام وتأييد الله تعـالى ما أوجب انصـراف الشيطان عن أن يفعل ذلك بحضورك وأنت وأمثالك بالنسبة إلى أهل الإسـلام الخـالص كـالتتري بالنسـبة إلى أمثالك، فـالتتري وأمثاله سـود وأهل الإسـلام المحض بيض، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض، فـأعجب هـذا المثل من كان حاضرًا !!

وقلت لهم في مجلس آخر لما قـالوا: تريد أن نظهر هـذه الإشـارات؟ قلت: إن عملتموها بحضـور من ليس من أهل الشـأن: من الأعـراب والفلاحين أو الأتـراك أو العامة أو جمهـور المتفقهة والمتفقـرة والمتصوفة لم يحسب لكم ذلك.

فمن معه ذهب فليـأت به إلى سـوق الصـرف إلي عند الجهابـذة الـذين يعرفـون الـذهب الخـالص من المغشـوش ومن الصفر، لا يذهب إلا عند أهل الجهل بذلك.

فقـالوا لي: لا نعمل هـذا إلا أن تكـون همتك معنا، فقلت: همتي ليست معكم؛ بل أنا معـارض لكم مـانع لكم؛ لأنكم تقصـدون

بذلك إبطال شـريعة رسـول الله صـلى الله تعالى عليه وسلم فإن كان لكم قــدرة على إظهار ذلك فافعلوا.

فانقلبوا صاغرين.

[وضعهم الأغلال في الأعناق][1]

فلما كان قبل هذه الواقعة بمدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البر مطوقين بأغلال الحديد في أعناقهم، وهو وأتباعه معروفون بأمور، وكان يحضر عندي مرات فأخاطبه بالتي هي أحسن، فلما ذكر الناس ما يظهرونه من الشعار المبتدع الذي يتميزون به عن المسلمين[2] ويتخذونه عبادة ودينا يوهمون به الناس أن هذا لله سر من أسرارهم وإنه سيماء أهل الموهبة الإلهية، السالكين طريقهم - أعني طريق ذلك الشيخ وأتباعه - خاطبته في ذلك بالمسجد الجامع وقلت هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الأمة ولا من المشايخ الذين يقتدى بهم، ولا يجوز التعبد بذلك ولا التقرب به إلى الله تعالى؛ لأن عبادة الله بما لم يشرعه ضلالة ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلماء للحديث المروي في ذلك وهو «أن

---

[1] (?) العناوين التي وضعناها بين معكوفين هي من عمل الناشر، وليست من كلام شيخ الإسلام. (المصحح/حسن رجب).

[2] (?) ومن أعجب شعائر الرفاعية المبتدعة الخلوة المحرمة وهي واجبة على كل رفاعي يخلو فيها المريد بنفسه أسبوعًا كاملاً ابتداء من أول يوم عاشوراء ويمتنع عن أكل ذات الأرواح ويكتفي باللوز والسكر ولعل في ذلك مشاركة الرافضة في حزنهم على الحسين بن علي رضي الله عنه ومن مراسمهم وشعائرهم (عدة النوبة) وهي: الدفوف يضربونها في ليالي الجمع، أضف إلى ذلك ضرب الشيش، بعض حالات الفوضى والغناء, والغثيان التي يجتمعون عليها ويسمونها ذكرًا.

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى على رجل خاتما من حديد فقـــال: **ما لي أرى عليك حلية أهل النار**»[1].

وقد وصف الله تعالى أهل النـار بـأن في أعنــاقهم الأغلال فالتشــبه بأهل النــار من المنكرات.

وقـال بعض النـاس قد ثبت في الصـحيح عن أبي هريرة عن النبي صـلى الله تعـالى عليه وسـلم في حـديث الرؤيا قـال في آخره: «أحب القيد وأكره الغل، القيد ثبـات في الدين»[2]، فإذا كـان مكروها في المنـام فكيف في اليقظة ؟! فقلت له في ذلك المجلس ما تقـدم من الكلام أو نحو منه مع زيادة.

وخوفته من عاقبة الإصـرار على البدعة وأن ذلك يوجب عقوبة فاعله ونحو ذلك من الكلام الذي نسيت أكثره لبعد عهدي به.

وذلك أن الأمور التي ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التعبد بها باتفـاق المسـلمين ولا التقـرب بها إلى الله ولا اتخاذها طريقًـا إلى الله وسببا لأن يكـون الرجل من أوليـاء الله وأحبائه ولا اعتقـاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك أو أن اتخاذها يـزداد به الرجل خـيرًا عند الله وقربة إليه، ولا أن يجعل شـعارًا للتـائبين المريـدين وجه الله

---

1 (?) أخرجه أبو داود (4223)، والترمذي (1786)، انظر صحيح الجامع رقم (5540).

2 (?) رواه مسلم (2263) في الرؤيا، وأخرجه البخاري 8/76، كتاب التعبير.

الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم.

فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتنـاء به وهو أن المباحـات إنما تكـون مباحة إذا جعلت مباحـات فأما إذا اتخـذت واجبـات أو مستحبات كان ذلك دينًا لم يشرعه الله.

وجعل ما ليس من الواجبـات والمسـتحبات منها بمنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها فلا حرام إلا ما حرمه اللـه؛ ولا دين إلا ما شـرعه اللـه؛ ولهـذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع دينًا لم يأذن الله به ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه فـإذا كان هذا في المباحـات فكيف بالمكروهـات أو المحرمـات ولهـذا كـانت هـذه الأمـور لا تلـزم بالنـذر فلو نـذر الرجل فعل مبـاح أو مكـروه أو محـرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطيعـه؛ بل عليه كفـارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره وعند آخرين لا شـيء عليه فلا يصـير بالنـذر ما ليس بطاعة ولا عبـادة [طاعة وعبادة].

ونحو ذلك العهود الـتي تتخذ على النـاس لالـتزام طريقة شـيخ معين كعهـود أهل «الفتوة» و «رماة البنـدق» ونحو ذلك ليس على الرجل أن يلـتزم من ذلك على وجه الـدين والطاعة لله إلا ما كـان دينا وطاعة لله ورسوله في شـرع اللـه؛ لكن قد يكـون

عليه كفــارة عند الحنث في ذلــك؛ ولهــذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بــالتزام طريقة مرجوحة أو مشــتملة على أنــواع من البــدع إلى ما هو خــير منها من طاعة الله ورســوله واتبــاع الكتــاب والسنة، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجــوز لأحد أن يعتقد أو يقــول عن عمــل: إنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به ورســوله ؛ وذلك يعلم بالأدلة المنصــوبة على ذلك وما علم باتفــــاق الأمة أنه ليس بــــواجب ولا مســـتحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال إنه قربة وطاعة.

فكــذلك هم متفقــون على أنه لا يجـــوز قصد التقـــرب به إلى الله ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عمله من الحسنات فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقــول ولا بــإرادة وعمل.

وبإهمال هــذا الأصل غلط خلق كثــير من العلمــاء والعبــاد يــرون الشــيء إذا لم يكن محرما لا ينهى عنــه؛ بل يقــال إنه جــائز ولا يفرقــون بين اتخــاذه دينا وطاعة وبــرا وبين استعماله كما تسـتعمل المباحـات المحضة، ومعلوم أن اتخاذه دينا بالاعتقاد أو الاقتصـاد أو بهما أو بــــــالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وهـذا من البـــدع المنكـــرات الـــتي هي أعظم من

المعاصي التي يعلم أنها معاصي وسيئات.

فصل

[ضلالة التعبد بالهوى]

فلما نهيتهم عن ذلك أظهـــروا الموافقة والطاعة ومضت على ذلك مــدة والنـــاس يــذكرون عنهم الإصــرار على الابتــداع في الدين وإظهار ما يخالف شـرعة المسـلمين ويطلبـون الإيقـاع بهم، وأنا أسـلك مسـلك الرفق والأناة وأنتظر الرجوع والفيئة وأؤخر الخطـــاب إلى أن يحضر (ذلك الشـــيخ) لمسجد الجامع.

وكـــان قد كتب إلي كتابا بعد كتـــاب فيه احتجـــاج واعتـــذار، وعتب وآثـــار وهو كلام باطل لا تقــــوم به حجة بل إما أحــــاديث موضــوعة أو إســرائيليات غــير مشــروعة، وحقيقة الأمر الصد عن ســــبيل الله وأكل أموال الناس بالباطل.

فقلت لهم: الجواب يكون بالخطاب.

فــإن جــواب مثل هــذا الكتــاب لا يتم إلا بـــذلك، وحضر عنـــدنا منهم شـــخص فنزعنا الغل من عنقه وهــؤلاء هم من أهل الأهــواء الذين يتعبدون في كثير من الأمور بأهوائهم لا بما أمر الله تعــالى ورســوله ﴿ **:وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ** ﴾؛ ولهذا غالب وجدهم هوى مطلق لا يدرون من يعبدون وفيهم شَبه قــوي من النصــارى الــذين قـــال الله تعـــالى فيهم: ﴿**يَا أَهْـــلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا**

تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع أهل الأهواء.

فحملهم هواهم على أن تجمعوا تجمع الأحزاب ودخلوا إلى المسجد الجامع مستعدين للحراب بالأحوال التي يعدونها للغلاب.

فلما قضيت صلاة الجمعة أرسلت إلى شيخهم لنخاطبه بأمر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، ونتفق على اتباع سبيله - فخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم إلى قصر الإمارة وكأنهم اتفقوا مع بعض الأكابر على مطلوبهم ثم رجعوا إلى مسجد الشاغو - على ما ذكر لي - وهم من الصياح والاضطراب على أمر من أعجب العجاب.

فأرسلت إليهم مرة ثانية لإقامة الحجة والمعذرة وطلبا للبيان والتبصرة ورجاء المنفعة والتذكرة.

فعمدوا إلى القصر مرة ثانية وذكر لي أنهم قدموا من الناحية الغربية مظهرين الضجيج والعجيج والإزباد والإرعاد واضطراب الرؤوس والأعضاء والتقلب في نهر بردى، وإظهار التوله الذي يخيلوا به على الردى، وإبراز ما يدعونه من الحال والمحال الذي يسلمه إليهم من أضلوا من الجهال.

[شكواهم الشيخ إلى الأمير]

فلما رأى الأمـــير ذلك هاله ذلك المنظر وسـأل عنهم فقيل له هم مشـتكون، فقـال ليـدخل بعضـهم فـدخل شـيخهم وأظهر من الشكوى علي ودعوى الاعتـداء مـني عليهم كلامًا كثيرًا لم يبلغـني جميعـه؛ لكن حـدثني من كـان حاضرًا أن الأمـير قـال لهم: فهـذا الـــذي يقوله من عنــــده أو يقوله عن الله ورســـوله ؟ فقــــالوا: بل يقوله عن الله ورسـوله . قـال: فـأي شـيء يقـال له ؟ قـالوا: نحن لنا أحـوال وطريق يسـلم إلينا. قــال: فنســمع كلامه فمن كــان الحق معه نصرناه. قالوا: نريد أن تشد منا.

قال: لا ولكن أشد في الحق سـواء كـان معكم أو معه. قــالوا: ولا بد من حضـوره ؟ قــال: نعم فكــرروا ذلك فــأمر بــإخراجهم فأرسل إلي بعض خواصه من أهل الصـــدق والدين ممن يَعرف ضلالهم وعرفني بصورة الحال وأنه يريد كشف أمر هؤلاء.

فلما علمت ذلك ألقي في قلـبي أن ذلك لأمر يريــده الله من إظهــار الــدين وكشف حال أهل النفاق المبتـدعين لانتشـارهم في أقطـــار الأرضـــين، وما أحببت البغي عليهم والعـــدوان ولا أن أســـلك معهم إلا أبلغ ما يمكن من الإحســـان، فأرســـلت إليهم من عرفهم بصورة الحال وإني إذا حضرت كـان ذلك عليكم من الوبـــال وكـــثر فيكم القيل والقــال، وأن من قعد أو قــام قــدام رمــاح

أهل الإيمـــــان فهو الـــــذي أوقع نفسه في الهوان.

فجــاء الرســول وأخــبر أنهم اجتمعــوا بشــيوخهم الكبــار الــذين يعرفــون حقيقة الأســرار وأشـاروا عليهم بموافقة ما أمـروا به من اتبــاع الشــريعة والخــروج عما ينكر عليهم من البدع الشنيعة.

وقال شيخهم الذي يسيح بأقطــار الأرض كبلاد الــترك ومصر وغيرهـــا: أحوالنا تظهر عند التتار لا تظهر عند شــرع محمد بن عبد الله.

وأنهم نزعوا الأغلال من الأعنـاق وأجـابوا إلى الوفاق.

ثم ذُكر لي أنه جاءهم بعض أكابر غلمـان المطاع وذكر أنه لا بد من حضـورهم لموعد الاجتماع.

فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته واستنصرته واستهديته وسـلكت سـبيل عبـاد الله في مثل هـذه المسـالك حـتى ألقي في قلـــبي أن أدخل النـــار عند الحاجة إلى ذلك وأنها تكــون بــردا وســلاما على من اتبع ملة الخليل، وأنها تحـــرق أشـــباه الصـــابئة أهل الخروج عن هذه السبيل.

وقد كـان بقايا الصـابئة[1] أعـداء إبـراهيم إمام الحنفاء بنواحي البطـائح منضـمين إلى

---

[1] (?) الصائبة: هم من عبدة الكواكب. انظر: الملل والنحل (2/ 95).

من يضاهيهم من نصارى الدهماء.

وبين الصـــــابئة ومن ضل من العبـــــاد المنتسبين إلى هـذا الـدين نسب يعرفه من عرف الحق المــبين، فالغالية من القرامطة والباطنية كالنُصَيرية والإسماعيلية.

يخرجون إلى مشابهة الصـابئة الفلاسـفة ثم إلى الإشراك ثم إلى جحود الحق تعالى.

ومن شــركهم الغلو في البشر والابتــداع في العبــادات والخــروج عن الشـــريعة له نصــــــــيب من ذلك بحسب ما هو به لائق كالملحـــدين من أهل الاتحـــاد والغالية من أصناف العباد.

فلما أصبحنا ذهبت للميعاد وما أحببت أن أستصــحب أحدًا للإســعاد لكن ذهب أيضــًا بعض من كــان حاضرًا من الأصــحاب والله هو المسبب لجميع الأسباب.

وبلغــني بعد ذلك أنهم طــافوا على عــدد من أكابر الأمراء وقالوا أنواعا مما جرت به عــــادتهم من التلـــبيس والافـــتراء الـــذي اســـتحوذوا به على أكـــثر أهل الأرض من الأكــــابر والرؤســــاء مثل زعمهم: أن لهم أحوالا لا يقاومهم فيها أحد من الأوليــاء وأن لهم طريقًا لا يعرفها أحد من العلماء.

وأن شــيخهم هو في المشــايخ كالخليفة وأنهم يتقــدمون على الخلق بهــذه الأخبــار المنيفة، وأن المنكر عليهم هو آخذ بالشــرع الظاهر غير واصل إلى الحقائق والسرائر.

وأن لهم طريقًا وله طريق، وهم الواصلون إلى كنه التحقيق وأشباه هذه الدعاوى ذات الزخرف والتزويق.

وكانوا لفرط انتشارهم في البلاد واستحواذهم على الملوك والأمراء والأجناد لخفاء نور الإسلام، واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام، وطموس آثار الرسول في أكثر الأمصار ودروس حقيقة الإسلام في دولة التتار، لهم في القلوب موقع هائل ولهم فيهم من الاعتقاد ما لا يزول بقول قائل.

قال المخبر: فغدا أولئك الأمراء الأكابر وخاطبوا فيهم نائب السلطان بتعظيم أمرهم الباهر، وذكر لي أنواعا من الخطاب والله تعالى أعلم بحقيقة الصواب، والأمير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق، فأعاد الرسول إلي مرة ثانية فبلغه أنا في الطريق وكان كثير من أهل البدع الأضداد كطوائف من المتفقهة والمتفقرة وأتباع أهل الاتحاد.

مجدين في نصرهم بحسب مقدورهم مجهزين لمن يعينهم في حضورهم.

فلما حضرت وجدت النفوس في غاية الشوق إلى هذا الاجتماع متطلعين إلى ما سيكون طالبين للاطلاع.

فذكر لي نائب السلطان وغيره من الأمراء بعض ما ذكروه من الأقوال

المشتملة على الافتراء.

وقـــــال: إنهم قـــــالوا: إنك طلبت منهم الامتحان وأن يحموا الأطواق نارا ويلبسـوها فقلت هذا من البهتان.

وها أنا ذا أصف ما كان.

قلت للأمير: نحن لا نستحل أن نأمر أحدًا بـأن يـدخل نـارًا ولا تجـوز طاعة من يـأمر بدخول النار، وفي ذلك الحديث الصحيح[1].

وهــؤلاء يكــذبون في ذلك وهم كــذابون مبتــــــدعون قد أفســــــدوا من أمر دين المسلمين ودنياهم ما الله به عليم.

وذكـــــرت تلبيســــــهم على طوائف من الأمراء وأنهم لَبَّسـوا على الأمـير المعـروف بالأيــدمري، وعلى قفجق نــائب الســلطنة وعلى غيرهما وقد لَبَّســوا أيضا على الملك العــــــادل كتبغا في ملكه وفي حالة ولاية حمـاه وعلى أمـير السـلاح أجل أمـير بـديار مصر وضــــــاق المجلس عن حكاية جميع تلبيسهم.

---

1 (?) إشارة إلى حديث علي رضي الله عنه، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم، بعث سرية وأمر عليهم رجل من الأمصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال أليس أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتطيعوني قالوا: بلى، قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا، ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطبا فأوقدوا، فلما هموا بالدخول فقام بعضهم ينظر إلى بعض فقال بعضهم: إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فرارًا من النار أفندخلها، فبينما هم كذلك إذ خمدت النار، وسكن غضبه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا، إنما الطاعة في المعروف»، أخرجه مسلم (1840) في الإمارة.

فـذكرت تلبيسـهم على الأيـدمري وأنهم كانوا يرسلون من النسـاء من يسـتخبر عن أحـــــوال بيته الباطنة ثم يخبرونه بها على طريق المكاشـفة ووعــدوه بالملك، وأنهم وعدوه أن يروه رجال الغيب فصـنعوا خشبًا طوالا وجعلـوا عليها من يمشي كهيئة الـذي يلعب بـأكر الزجـاج فجعلـوا يمشـون على جبل المـــزة وذاك يـــرى من بعيد قوما يطوفــون على الجبل وهم يرتفعــون عن الأرض وأخذوا منه مالا كثـيرًا ثم انكشف له أمرهم.

قلت للأمـير: وولـده هو الـذي في حلقة الجيش يعلم ذلك وهو ممن حــدثني بهــذه القصة.

وأما قفجق فإنهم أدخلـوا رجلًا في القـبر يتكلم وأوهمـوه أن المـوتى تتكلم، وأتـوا به في مقابر باب الصغير إلى رجل زعمـوا أنه الرجل الشـعراني الــذي بجبل لبنــان ولم يقربـوه منه بل من بعيد لتعـود عليه بركته، وقـــالوا: إنه طلب منه جملة من المـــال؛ فقــال قفجق الشــيخ يكاشف وهو يعلم أن خزائـني ليس فيها هـذا كله، وتقـرب قفجق منه وجــذب الشــعر فــانقلع الجلد الــذي ألصقوه على جلده من جلد الماعز فـذكرت للأمـير هـذا؛ ولهـذا قيل لي: إنه لما انقضى المجلس وانكشف حــــالهم للنــــاس كتب أصحاب قفجق إليه كتابًا وهو نائب السلطنة بحماه يخبره بصورة ما جرى.

وذكرت للأمير أنهم مبتـدعون بـأنواع من

البدع مثل الأغلال ونحوها، وأنا نهيناهم عن البدع الخارجة عن الشريعة فذكر الأمير حديث البدعة وسألني عنه فذكرت حديث العرباض بن سارية وحديث جابر بن عبد الله وقد ذكرتهما بعد ذلك بالمجلس العام كما سأذكره.

[عزم ابن تيمية على دخول النار]

قلت للأمير: أنا ما امتحنت هؤلاء لكن هم يزعمون أن لهم أحوالاً يدخلون بها النار وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك، ويقولون لنا هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع ليس لهم أن يعترضوا علينا بل يسلم إلينا ما نحن عليه - سواء وافق الشرع أو خالفه - وأنا قد استخرت الله سبحانه أنهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله وكان مغلوبًا، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار.

فقال الأمير ولمَ ذاك ؟ قلت: لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم، وأنا لا أطلي جلدي بشيء فإذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق، فاستعظم الأمير هجومي على النار وقال: أتفعل ذلك ؟ فقلت له: نعم قد استخرت الله في ذلك وألقي في قلبي أن أفعله ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداء؛ فإن

خــوارق العــادات إنما تكــون لأمة محمد ﷺ المتبعين له باطنًــا وظــاهرًا لحجة أو حاجة فالحجة لإقامة دين الله والحاجة لما لا بد منه من النصر والـرزق الـذي به يقـوم دين الله، وهــؤلاء إذا أظهــروا ما يســمونه إشــاراتهم وبــراهينهم الــتي يزعمــون أنها تبطل دين الله وشرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نقـدر عليه من أرواحنا وجســومنا وأموالنا فلنا حينئذ أن نعــارض ما يظهرونه من هــذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات.

وليعلم أن هــذا مثل معارضة موسى للســحرة لما أظهــروا ســحرهم أيد الله موسى بالعصا التي ابتلعت سحرهم.

فجعل الأمــير يخــاطب من حضــره من الأمـراء على السـماط بـذلك وفـرح بـذلك وكأنهم كانوا قد أوهموه أن هؤلاء لهم حــال لا يقــدر أحد على رده، وســمعته يخــاطب الأمـير الكبـير الـذي قـدم من مصر الحـاج بهادر وأنا جالس بينهما على رأس السـماط بالتركي ما فهمته منه إلا أنه قال اليوم ترى حربا عظيما ولعل ذاك كان جوابا لمن كـان خاطبه فيهم على ما قيل.

[حضور مشايخهم]

وحضر شيوخهم الأكابر فجعلوا يطلبون من الأمير الإصلاح وإطفاء هذه القضية ويترفقون فقال الأمير إنما يكون الصلح بعد ظهور الحق وقمنا إلى مقعد الأمير بزاوية القصر أنا وهو وبهادر فسمعته يذكر له أيوب الحمال بمصر والمولهين ونحو ذلك، فدل ذلك على أنه كان عند هذا الأمير لهم صورة معظمة وأن لهم فيهم ظنًّا حسنًا والله أعلم بحقيقة الحال؛ فإنه ذكر لي ذلك.

وكان الأمير أحب أن يشهد بهادر هذه الواقعة ليتبين له الحق فإنه من أكابر الأمراء وأقدمهم وأعظمهم حرمة عنده وقد قدم الآن وهو يحب تأليفه وإكرامه فأمر ببساط يبسط في الميدان.

وقد قدم البطائحية وهم جماعة كثيرون وقد أظهروا أحوالهم الشيطانية من الإزباد والإرغاء وحركة الرؤوس والأعضاء والطفر والحبو والتقلب ونحو ذلك من الأصوات المنكرات والحركات الخارجة عن العادات المخالفة لما أمر به لقمان لابنه في قوله: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ**﴾ [لقمان: 19].

فلما جلسنا وقد حضر خلق عظيم من الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء والعامة وغيرهم، وحضر شيخهم الأول المشتكي

وشيخ آخر يسمي نفسه خليفة سيده أحمد، ويـــركب بعلمين وهم يســـمونه: عبد الله الكذاب ولم أكن أعرف ذلك.

وكان من مـدة قد قـدم علي منهم شـيخ بصـورة لطيفة وأظهر ما جـرت به عـادتهم من المســـألة فأعطيته طلبته ولم أتفطن لكذبه حـــتى فـــارقني فبقي في نفسي أن هـــذا خفي علي تلبيسه إلى أن غـــاب وما يكـاد يخفى علي تلـبيس أحد بل أدركه في أول الأمر فبقي ذلك في نفسي ولم أره قط إلى حين ناظرته ذكر لي أنه ذاك الـذي كـــان اجتمع بي قـــديمًا فتعجبت من حسن صنع الله أنه هتكه في أعظم مشـهد يكـون حيث كتم تلبيسه بيني وبينه.

فلما حضـروا تكلم منهم شـيخ يقـال له حـاتم بكلام مضـمونه طلب الصـلح والعفو عن الماضي والتوبة وإنا مجيبـــون إلى ما طلب من تـــرك هـــذه الأغلال وغيرها من البدع ومتبعون للشريعة.

فقلت أما التوبة فمقبولة.

قال الله تعالى: **: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِـلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾** [غـافر: 3]هـذه إلى جنب هذه.

وقـــال تعـــالى **: ﴿نَبِّئْ عِبَـــادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُـــورُ الـــرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَـــذَابِي هُـــوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾** [الحجر: 49-50].

فأخذ شيخهم المشتكي ينتصر للبسهم الأطواق وذكر أن وهب بن منبه روى أنه كان في بني إسرائيل عابد وأنه جعل في عنقه طوقًا في حكاية من حكايات بني إسرائيل لا تثبت.

فقلت لهم: ليس لنا أن نتعبد في ديننا بشيء من الإسرائيليات المخالفة لشرعنا، قد روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله «أن النبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال: **أمتهوكون يا ابن الخطاب ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم**»[1]، وفي مراسيل أبي داود «أن النبي ﷺ رأى مع بعض أصحابه شيئًا من كتب أهل الكتاب، فقال: **كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم أنزل إلى نبي غير نبيهم**»[2] وأنزل الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ [العنكبوت: 51]. فنحن لا يجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا وإنما علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا ونتبع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به إلينا رسولنا كما قال تعالى: ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ**

---

1 (?) رواه أحمد في المسند 3/387.
2 (?) رواه أبو داود في المراسيل رقم 416.

جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِـــرْعَةً وَمِنْهَاجًا [المائـــدة: 48].

فكيف يجوز لنا أن نتبع عباد بني إسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها وما علينا من عباد بني إسرائيل : **تِلْـكَ أُمَّةٌ قَـدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَـبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَـبْتُمْ وَلَا تُسْـأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** [البقرة: 134]، هات ما في القـــرآن وما في الأحـــاديث الصـــحاح كالبخــاري ومســلم وذكــرت هــذا وشــبهه بكيفية قوية.

فقال هـذا الشـيخ منهم يخـاطب الأمـير: نحن نريد أن تجمع لنا القضـــــــــاة الأربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية.

فقلت له هذا غـير مسـتحب ولا مشـروع عند أحد من علمـــاء المســـلمين؛ بل كلهم ينهى عن التعبد به ويعده بدعة وهذا الشـيخ كمال الدين بن الزملكاني مفـتي الشـافعية ودعوته، وقلت: يا كمال الدين ما تقـول في هـذا ؟ فقـال هـذا بدعة غـير مسـتحبة بل مكروهة أو كما قال.

وكـــــان مع بعض الجماعة فتـــــوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك.

وقلت: ليس لأحد الخـــروج عن شـــريعة محمد ولا الخــروج عن كتـاب الله وسـنة رسوله صلى الله تعالى عليه وســلم وأشك هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضـــر؛

فإني تكلمت بكلام بَعُد عهدي به.

فانتـدب ذلك الشـيخ «عبد اللـه» ورفع صوته.

وقـال: نحن لنا أحـوال وأمـور باطنة لا يوقف عليها. وذكر كلاما لم أضـبط لفظـه: مثل المجـالس والمـدارس والبـاطن والظـاهر؛ ومضـمونه أن لنا الباطن ولغيرنا الظـاهر وأن لنا أمرًا لا يقف عليه أهل الظـاهر فلا ينكرونه علينا. فقلت له - ورفعت صوتي وغضـبت: البـاطن والظـاهر والمجالس والمدارس والشـريعة والحقـائق كل هذا مردود إلى كتاب الله وسنة رسـوله ليس لأحد الخـروج عن كتـاب الله وسـنة رسـوله لا من المشـايخ والفقـراء ولا من الملـوك والأمـراء ولا من العلمـاء والقضـاة وغـيرهم؛ بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله .

وذكرت هذا ونحوه.

فقـال - ورفع صـوته -: نحن لنا الأحـوال وكذا وكذا.

وادعى الأحـوال الخارقة كالنـار وغيرها واختصاصـهم بها وأنهم يسـتحقون تسـليم الحال إليهم لأجلها.

فقلت - ورفعت صـوتي وغضـبت -: أنا أخاطب كل أحمدي من مشـرق الأرض إلى مغربها أي شيء فعلوه في النـار فأنا أصـنع مثل ما تصـنعون ومن احـترق فهو مغلـوب؛

وربما قلت فعليه لعنة اللـــــه؛ ولكن بعد أن نغسل جســـــومنا بالخل والمـــــاء الحـــــار؛ فسألني الأمـراء والنـاس عن ذلك ؟ فقلت: لأن لهم حيلا في الاتصـال بالنـار يصـنعونها من أشـــــياء: من دهن الضـــــفادع، وقشر النارنج، وحجر الطلق.

فضج النـاس بـذلك فأخذ يظهر القـدرة على ذلك فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت.

فقلت فقم؛ وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك فمد يـــــــده يظهر خلع القميص فقلت: لا حـــتى تغتسل في المـــاء الحـــار والخل فـأظهر الـوهم على عـادتهم، فقـال: من كان يحب الأمير فليحضر خشبًا أو قـــال حزمة حطب.

فقلت: هــذا تطويل وتفريق للجمــع؛ ولا يحصل به مقصــود؛ بل قنــديل يوقد وأدخل إصـــبعي وإصـــبعك فيه بعد الغســـل؛ ومن احـترقت إصـبعه فعليه لعنة اللـه؛ أو قلت: فهو مغلوب.

فلما قلت ذلك تغـــــير وذل، وذكر لي أن وجهه اصفر.

ثم قلت لهم: ومع هــذا فلو دخلتم النـــار وخرجتم منها سالمين حقيقة ولو طرتم في الهـواء؛ ومشـيتم على المــاء؛ ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يـدل على صـحة ما تدعونه من مخالفة الشرع.

ولا على إبطــال الشــرع، فــإن الــدجال الأكــبر يقــول للســماء أمطــري فتمطر، وللأرض أنبـــتي فتنبت وللخربة أخـــرجي كنوزك فتخـرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلاً ثم يمشي بين شــقيه ثم يقــول له قم فيقــوم ومع هذا فهو دجال كذاب ملعـون لعنه الله، ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب.

وذكــرت قــول أبي يزيد البســطامي: لو رأيتم الرجل يطير في الهـواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنـواهي وذكـرت. عن يـونس بن عبد الأعلى أنه قال للشافعي: أتدري ما قال صاحبنا - يعني الليث بن سعد ؟- قــال: لو رأيت صاحب هوى يمشي على المـاء فلا تغتر به.

فقال الشافعي: لقد قصر الليث لو رأيت صاحب هوى يطـير في الهـواء فلا تغـتر به. وتكلمت في هــذا ونحــوه بكلام بعد عهــدي به.

ومشايخهم الكبـار يتضـرعون عند الأمـير في طلب الصـــــلح وجعلت ألح عليه في إظهار ما ادعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا يجيبون وقد اجتمع عامة مشايخهم الــذين في البلد والفقراء المولهون منهم وهم عدد كثير والناس يضجون في الميدان ويتكلمون بأشياء لا أضبطها.

فذكر بعض الحاضرين أن الناس قالوا ما مضمونه: : ﴿**فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ**﴾ [الأعراف: 118-119] وذكروا أيضاً أن هذا الشيخ يسمى عبد الله الكذاب، وأنه الذي قصدك مرة فأعطيته ثلاثين درهما فقلت: ظهر لي حين أخذ الدراهم وذهب أنه ملبس وكان قد حكى حكاية عن نفسه مضمونها أنه أدخل النار في لحيته قدام صاحب حماة ولما فارقني وقع في قلبي أن لحيته مدهونة.

وأنه دخل إلى الروم واستحوذ عليهم، فلما ظهر للحاضرين عجزهم وكذبهم وتلبيسهم وتبين للأمراء الذين كانوا يشدون منهم أنهم مبطلون رجعوا وتخاطب الحاج بهادر ونائب السلطان وغيرهما بصورة الحال وعرفوا حقيقة المحال، وقمنا إلى داخل ودخلنا.

[الرفاعية يطلبون التوبة والشيخ يشترط]

وقد طلبوا التوبة عما مضى وسألني الأمير عما تطلب منهم فقلت: متابعة الكتاب والسنة مثل أن [لا] يعتقد أنه لا يجب عليه اتباعهما أو أنه يسوغ لأحد الخروج من حكمهما ونحو ذلك أو أنه يجوز اتباع طريقة تخالف بعض حكمهما ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والسنة

التي توجب الكفر.

وقد توجب القتل دون الكفر، وقد توجب قتـــــال الطائفة الممتنعة دون قتل الواحد المقدور عليه.

فقـالوا: نحن ملـتزمون الكتـاب والسـنة أتنكر علينا غير الأطواق؟ نحن نخلعها.

فقلت: الأطــواق وغـــير الأطــواق ليس المقصــود شــيئا معينا، وإنما المقصــود أن يكـــون جميع المســـلمين تحت طاعة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

فقال الأمير فأي شيء الذي يلـزمهم من الكتـــاب والســـنة؟ فقلت: حكم الكتـــاب والســـنة كثـــير لا يمكن ذكـــره في هـــذا المجلس لكن المقصــود أن يلــتزموا هــذا التزامًا عامًّا ومن خـرج عنه ضـربت عنقه - وكرر ذلك وأشار بيـده إلى ناحية الميـدان - وكان المقصود أن يكون هذا حكمًا عامًّا في حق جميع النـاس، فـإن هـذا مشـهد عـام مشهور قد تـوفرت الهمم عليه فيتقـرر عند المقاتلة وأهل الــديوان والعلمــاء والعبــاد وهــؤلاء وولاة الأمــور - أنه من خــرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه.

قلت: ومن ذلك الصـــلوات الخمس في مواقيتها كما أمر الله ورســوله، فـــإن من هـــؤلاء من لا يصـــلي ومنهم من يتكلم في صـلاته حـتى إنهم بـالأمس بعد أن اشـتكوا علي في عصر الجمعة جعل أحـدهم يقـول في صلب الصلاة: يا سيدي أحمد شيء لله.

وهـذا مع أنه مبطل للصـلاة فهو شـرك بالله ودعـاء لغـيره في حـالِ مناجاته الـتي أمرنا أن نقـول فيها: : ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: 5]، وهـذا قد فعل بالأمس بحضرة شيخهم فأمر قائل ذلك لما أنكر عليه المسلمون بالاستغفار على عادتهم في صغير الذنوب.

ولم يأمره بإعادة الصلاة.

وكـذلك يصـيحون في الصـلاة صـياحًا عظيمًا وهذا منكر يبطل الصلاة.

فقال: هـذا يغلب على أحـدهم كما يغلب العطاس.

فقلت: العطـاس من الله والله يحب العطاس ويكـره التثـاؤب، ولا يملك أحـدهم دفعه، وأما هـذا الصـياح فهو من الشـيطان وهو باختيـارهم وتكلفهم، ويقـدرون على دفعه ولقد حـدثني بعض الخبـيرين بهم بعد المجلس أنهم يفعلـون في الصـلاة ما لا تفعله اليهود والنصارى مثل قول أحـدهم أنا على بطن امـرأة الإمـام وقـول الآخر كـذا وكـذا من الإمـام ونحو ذلك من الأقـوال الخبيثة، وأنهم إذا أنكر عليهم المنكر تـرك الصـلاة يصـلون بالنوبة وأنا أعلم أنهم متولـون للشـياطين ليسـوا مغلـوبين على ذلك كما يغلب الرجل في بعض الأوقـات على صيحة أو بكاء في الصلاة أو غيرها.

فلما أظهـروا الـتزام الكتـاب والسـنة وجمـوعهم بالميـدان بأصـواتهم وحركـاتهم

الشيطانية يظهرون أحوالهم، قلت له: أهـذا موافق للكتـاب والسـنة ؟ فقـال: هـذا من الله حــال يــرد عليهم. فقلت: هــذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله صلى الله تعـالى عليه وسـلم، ولا أحبه الله ولا رسوله. فقال: ما في السموات والأرض حركة ولا كـذا ولا كـذا إلا بمشـيئته وإرادته. فقلت لـه: هـذا من بـاب القضـاء والقـدر، وهكـذا كل ما في العـالم من كفر وفسـوق وعصــيان هو بمشــيئته وإرادته، وليس ذلك بحجة لأحد في فعله، بل ذلك مما زينه الشيطان وسخطه الرحمن.

فقال: فبـأي شـيء تبطل هـذه الأحـوال، فقلت: بهذه السياط الشرعية.

فأعجب الأمـير وضـحك، وقـال: أي والله بالســياط الشــرعية تبطل هــذه الأحــوال الشــيطانية كما قد جــرى مثل ذلك لغــير واحد، ومن لم يجب إلى الــدين بالســياط الشرعية فبالسيوف المحمدية.

وأمسكت سيف الأمير، وقلت: هذا نـائب رسـول الله ﷺ وغلامه وهـذا السـيف سـيف رســول الله ﷺ فمن خــرج عن كتــاب الله وسـنة رسـوله ضـربناه بسـيف الله وأعـاد الأمــير هــذا الكلام وأخذ بعضــهم يقــول: فاليهود والنصارى يقرون ولا نقر نحن ؟

فقلت: اليهود والنصـارى يقـرون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم والمبتــدع لا

يقر على بدعته، فأفحموا لذلك.

و«حقيقة الأمر» أن من أظهر منكرًا في دار الإسـلام لم يقر على ذلك فمن دعا إلى بدعة وأظهرها لم يقر ولا يقر من أظهر الفجـور، وكـذلك أهل الذمة لا يقـرون على إظهار منكرات دينهم ومن سواهم فإن كان مســلمًا أخذ بواجبــات الإســلام وتــرك محرماته، وإن لم يكن مســلمًا ولا ذميًّا فهو إما مرتد وإما مشــرك وإما زنــديق ظــاهر الزندقة.

وذكــــرت ذم «المبتدعــــة» فقلت روى مســـلم في صـــحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر عن جــابر بن عبد الله «أن رسـول الله كـان يقـول في خطبته: **إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**»[1].

وفي الســنن عن العربــاض بن ســارية قــال: «خطبنا رســول الله خطبة ذرفت منها العيـون، ووجلت منها القلـوب، فقـال قائل: يا رســول الله كــأن هــذه موعظة مودع، فمـاذا تعهد إلينا ؟ فقـال: **أوصـيكم بالســــــمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعـدي فسـيرى اختلافا كثـيرًا، فعليكم بســنتي وســنة الخلفــاء الراشــدين المهــديين من بعــدي، تمسـكوا بها وعضـوا عليها بالنواجذ،**

---

1 (?) أخرجه مسلم برقم (867)، كتاب الجمعة.

وإيـاكم ومحـدثات الأمـور، فـإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضـلالة»[1] وفي رواية «**وكل ضلالة في النار**».

فقال لي: البدعة مثل الزنا. وروى حـديثًا في ذم الزنا، فقلت: هـذا حـديث موضـوع على رسـول الله صـلى الله تعـالى عليه وسـلم، والزنا معصـية والبدعة شر من المعصـية كما قـال سـفيان الثـوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصـية، فـإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها.

وكان قد قال بعضهم: نحن نُتَوِّب الناس. فقلت: ممـاذا تتوبـونهم؟ قـال: من قطع الطريق والسرقة ونحو ذلك.

فقلت: حـالهم قبل تتـويبكم خـير من حـالهم بعد تتـويبكم، فـإنهم كـانوا فسـاقًا يعتقدون تحريم ما هم عليه ويرجـون رحمة الله ويتوبـون إليه أو ينـوون التوبة فجعلتمـوهم بتتـويبكم ضـالين مشـركين خـارجين عن شـريعة الإسـلام، يحبـون ما يبغضه الله، ويبغضـون ما يحبه الله، وبينت أن هذه البـدع الـتي هم وغـيرهم عليها شر من المعاصي.

قلت مخاطبًـا للأمـير والحاضـرين: أما المعاصي فمثل ما روى البخـاري في صـحيحه عن عمر بن الخطـاب «أن رجلا كان يدعى حمارًا وكان يشرب الخمر وكـان يُضـحك النـبي وكـان كلما أتي به النـبي

1 (?) رواه أبو داود برقم (4607)، والترمذي برقم (2678)، وأحمد في المسند (4/126).

صلى الله تعالى عليه وسلم جلده الحد فلعنه رجل مرة.

وقال: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: **لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**».

قلت: فهذا رجل كثير الشرب للخمر ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ونهى عن لعنه.

وأما المبتدع فمثل ما أخرجا في الصحيحين عن علي بن أبي طالب، وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما - دخل حديث بعضهم في بعض - «أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم فجاءه رجل ناتئ الجبين كث اللحية محلوق الرأس بين عينيه أثر السجود وقال ما قال.

فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: **يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[1]، وفي رواية: «**لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على**

---

1 (?) أخرجه البخاري برقم (4/179)، ومسلم (1066)، بلفظ: «**يخرج قوم من أمتي...**».

لسان محمد لنكلوا عن العمل»[1]، وفي رواية: «**شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه**»[2].

قلت: فهؤلاء - مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة - أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لأن يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بشيء من هذه الأهواء.

فلما ظهر قبح البدع في الإسلام وأنها أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر وأنهم مبتدعون بدعًا منكرة، فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر.

أخذ شيخهم عبد الله يقول: يا مولانا لا تتعرض لهذا الجناب العزيز - يعني أتباع أحمد بن الرفاعي - فقلت منكرًا بكلام غليظ: ويحك، أي شيء هو الجناب العزيز، وجناب من خالفه أولى بالعز يا ذو الزرجنة، تريدون أن تبطلوا دين الله ورسوله. فقال: يا مولانا يحرقك الفقراء بقلوبهم. فقلت: مثل ما أحرقني الرافضة لما قصدت

---

1 (?) رواه مسلم (1064).
2 (?) رواه أحمد في مسنده (5/250).

الصعود إليهم وصار جميع النـاس يخوفـوني منهم ومن شــرهم، ويقــول أصــحابهم: إن لهم سرًّا مع الله !! فنصر الله وأعــــــان عليهم.

وكان الأمراء الحاضرون قد عرفــوا بركة ما يسره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل.

وقلت لهم: يا شـــــبه الرافضة يا بيت الكــذب - فــإن فيهم من الغلو والشــرك والمــروق عن الشــريعة ما شــاركوا به الرافضة في بعض صـــــفاتهم، وفيهم من الكذب ما قد يقــاربون به الرافضة في ذلك أو يســاوونهم أو يزيــدون عليهم فــإنهم من أكذب الطوائف حـتى قيل فيهم: لا تقولــوا: أكــذب من اليهــود على الله، ولكن قولــوا: أكـــذب من الأحمدية على شـــيخهم وقلت لهم: - أنا كافر بكم وبأحوالكم: ﴿**فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ**﴾ [هو: 55].

ولما رددت عليهم الأحـــاديث المكذوبة، أخذوا يطلبون مني كتبا صحيحة ليهتــدوا بها فبذلت لهم ذلك.

وأعيد الكلام: أنه من خــرج عن الكتــاب والســنة ضــربت عنقه وأعــاد الأمــير هــذا الكلام واستقر الكلام على ذلك.

والحمد لله الــذي صــدق وعــده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.